

مدح الفتاتان

« الشرقية والغربية »

ما السين وفيضانه ، والهواء الاصفر وسريانه ، وعبد الحميد وطغيانه ،
 بأهول مما ابتليت به الفتاة الشرقية من الجهل المبين ، والحيف المشين
 تسعة أنت أيتها الفتاة ؛ الكتاب يسلقونك بالسنة حداد زدعاة
 الاصلاح ينظرون اليك ظلاماً ، أنت هي داء الشرق يقول أولائك ،
 وهوؤلاء يصيحون أنت هي دواؤه ، يننا نرى زيدا ينادي بوأدك وعمر و
 يعمل على كيدك ؛

ذاك يقودك الى الامام الى فردوسك المفقود وسؤددك القديم ،
 الى مجدك ، الى نعيمك ، الى سمائك الخالدة وهذا يتبجح ويصرخ بل
 فيه : مكانك تحمدي او تستريحي

تسعة انت ايتها الفتاة ؛ خيروك خيروك فارقي يوماً بخرجونك
 فيخرجونك ، يوم تصعقن بنيارك نهضتك عمد الضلالات ، وتقوضين
 بما أوتيت من الحكمة اسس التقاليد والعادات ، يوم تشقين بصولجان
 عظمتك سجوقاً حاكته الكف الجهالات في الاعصر المظلمات ، يوم
 تنعشين من صرعتك ، وتنشطين من عقالك ، يوم يأتي عليك حين من
 الدهر تنوثين فيه باعباء ثقال ، يوم تصمين اذنيك عن استماع المورطين
 في شبهات الجهل الضارين في بهماء الغرور ، في ذلك اليوم : يوم تنزل
 بك الارض زلزالها ويصير سافلها أعلاها ، يوم تضحج بك الدنيا من

اقصاها الى اقصاها ، قولي : ان التي تهز السرير يمينها تهز العالم يسراها
 أيتها الفتاة ! أنت أماً أشقى منك فتاة . وما الذنب ذنبك لأنك
 نشأت كما أراد فيمك وذووك ، وشاء أهلك وأبوك . تحذوك عانية
 فلم يتقوا الله فيك ، وحسبوك سائمة فباعوك بيع السماح فوق ما حملوك ،
 فيا حبذا لو خلقوك بأخلاق غير أخلاقهم ، وعلموا انك خلقت لزمان
 غير زمانهم

أيتها الفتاة ! لو علمت خطورة مركزك وما يصير اليه أمرك . يوم
 تضحين أماً ترضع أولادها لبان الغباوة وتهلمهم افلويق الشقاء ، لو علمت
 ذلك لرغبت عن الزواج وفضلت حياتك فتاة حقا على ان تكوني أماً
 شعراء . اسمعي ما يقول همت : الى الدير أيتها الفتاة الى الدير ، واذا اردت
 ان تزوجي فتزوجي الموت . ان الموت ستار للعيوب

يستخف الشريون بوقر الامومة فيقدمون فتاتهم عليها غير هياين ،
 فيستحدثون وقرأ يبهظ كاهلهم ، يا ويل الشرق ممن عرمت نفوسهم
 وزاغت أبصارهم وكانوا الحوائل دون تهذيب الفتاة ورقى أم المستقبل
 الجنة تحت أقدام الامهات - حكمة أدركها بنو الانسان إلا
 المشرقان ، يا ويحنا أنورد نفوسنا موارد المخاوف ومصادر المهالك ،
 والحيوانات العجماوات قد خصت في طبائعها بالليل عما فيه هلكتها
 وصرعتها ، وهي لاتقم خطاباً ولا تحير جواباً ، انها لمصيبة تقصم الظهر
 وتسحق العظم

كلمات كالليمون الحلو حلوة في البداية مرة في النهاية . شلت يميني

إذا كنت لا اجاهر بالحق ولو كان الحق يجرح احياناً ، أظنُّ عاقل انه
يمكن لهذا الشرق ان يستطف على عالم العقل والحقيقة وان يتشرب روح
التمدن القديم ما دام مقام المرأة غير متغير فيه ؟ او نبلغ الكمال التي تتوخاه
الشعوب الراقية وتسدد نحوه الخطوات ما دامت نفوسنا صغيرة . . .

ايتها المرأة ، ايتها الفتاة ، انت لم توجدي لتكوئي في اقفاص ذهبية
تخلب بجمالها وتسلب بقوامها ، ولا لتباعي كما يباع البلب والبيغاء . ولا
لتشوه محاسنك وتمسخ مصوناتك ، انت لم توجدي لنسيب النائر وتشيب
الشاعر ، ولا ليقول فيك صريح لحظك وقبيل طرفك :

قولُ بعينها رمتك وانما سهام الغواني القاتلات عيونها
ولا لتخدعي بقول القائل :

اذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

ان هذه الأخواطر يوحىها شيطان الشاعر على الخواطر ، والجمال كما

تعلمين في عين الناظر

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال : « من
هذه يا امير المؤمنين . » فقال : « هذه تحفة القلب » - فقال : « انبذها
عنك ، فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويولدن الضغائن . » -
قال . « لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضي ولا ندب الموتى ولا
اعان على الاخوان الا هن » - فقال عمرو : « لقد حببتهن الي يا امير
المؤمنين »

انت خلقت لغاية اسمي وغرض أجل وحياة ارقى وزمن يفهمك

وتفهمينه ويعرفك وتعرفينه !

ان هذا ازمان واريد بالزمان بنيه قد هضم حقاك ، وغمط فضلك ،
ونكت عهدك ، ولم يوفك قسطك ، فلا تركني اليه ولا تعولي عليه
بل اجعلي رائدك سوء الظن به ، ان سوء الظن من حسن الفطن
رحمك يا نفس الامين ، والله ابوك يا جميل ، وسلام عليك
يا ولي الدين ، اذا كان للحق انصار فاتم انصاره واذا لم يكن للفتاة حماة
فاتم حماتها وقادتها ، سيروا على بركة الله سراكم ولا تحفلوا بتنطع المنتطعين
واستهتار المستهترين

ايتها الفتاة الشرقية ، لقد سبقتك اختك ربيبة الغرب لأنها يقظي
وانت في منام ، تجرين شوطاً فتسبقك باشواط ، ومن سبق في اول
الميدان سبق في آخره . ولكن لا يهولك هذا القول ولا يقعدك عن
السعي فيما يقيل عثرتك وينهض بك من كبوتك لأن ليس على المجتهد
حرج ولا بد دون الشهد من إبر النحل

انت اذا امتثلت بالسلحفاة التي أدركت شفعة الجبل قبل الأرنب
الذي استخف بطئها وازدهى بسرعته (ولا أراك الا ممثلة) فاني مبشرك
بنجاح باهر وفوز عظيم بحول الله

أستهجنين ما أتته شجاعة جان دارك وحصافة كاترين وحكمة
فكتوريا وانت القائلة

قيّدوني هولوني ضربوا موضع العفة مني بالعضا
كذب الاعجم لا يقربني ما معي بعض حشاشات الحيا

أستغريين أمر المطالبات بحقوق الانتخاب ومنتك الزباء والخنساء
وفيكِ القائلة : النار ولا العار ، والحنف ولا الاقامة على الخسف . . .
في مجلس نواب أسوج سيده تنوب عن جم غفير وعدد كثير من
بني بجدتها وهي تعمل مع الرجل جنباً الى جنب وسرعان ما يجري على
أثرها آرام التاميز وغزلان السين

فالى الامام يا ابنة قطان ، والى العلايا ابنة عثمان ، حلقي في سماء
هذا الوجود وانعمي نظرك في جناية يدك يتبد لعينيك البون بين
الفتاتين كما يتبدى الصبح لذي عينين ، ارسلني من كنانة لحظيك سهماً
يبقر بطن الجهل ، واحملي عليه بما اوتيت من قوة الاسود وعظمة الآلهة
جملة ترقص لها عجائز وائل وحينئذ قولي :

واني وان كنت الاخيرة عصرها سآتي بما لم تأت قبلي الأوائل
بيت جالا (فلسطين) اسكندر الخورى البيهجامي

— — — — —
حول تمدن المرأة المصرية — — — — —

١

تابعتُ بمزيد الشغف المناقشة التي دارت على صفحات هذه المجلة
الزاهرة بين هدى وأدما ونزول « حسون » الى ميدان الجندل . وسرتني
كثيراً طرق هذا الموضوع العمراني الجليل لما فيه من الفائدة العائدة على
الجنسين ولو كابر الرجال وادعوا انهم بغنى عن الاصلاح لا دراكم آخر
درجات الكمال . أكبرتُ الشجاعة الأدبية التي أبدتها هدى في نقد

اخواتها ، وأعجبتني الحمية التي أظهرتها ادما في الانتصار لهن ، وقلت ان كلاهما ترمي الى الاصلاح وان اختلفت الطريق . وسرتني في بداية الأمر إقدام «حسون» وان كانت ساءتني فيما بعد مغالطاته وانتقاله من العموميات الى الخصوصيات . وان في سكوت هدى وإحجامها عن الرد لا كبر دليل على موافقتها لي فيما أقول

يطول بي المجال لو اردت تفنيد مزاعم حسون . وأنا اسلم معه أن « في النظريات الصرفة بعض الصعوبة » فليسمح لي أيضاً ان اکتني بإيراد حكايتي مع زوجي - كما أورد لنا حكايته مع زوجته ، وهو - كما يقول - بحث واقعي ، لا يحتاج الى فلسفة ، وليقل لي اذا لم تكن حكايتي هي حكاية معظم الفتيات مع الفتيان « يا طير والأمثال تُضرب لليبب الامثل ... »

لما كنت فتاة عزباء - وقد مضى على ذلك زمن ليس باليسير - كنت أحسبني لا أتزوج ابداً لأسباب يطول ذكرها - أهمها خوفي من « شبان العصر » وما آلت اليه حالهم وأميالهم زارنا في احد الأيام شابٌ فأعجب والذي ما ظهر عليه من الرزانة والرصانة . واكثر التردد الى بيتنا وهو دائماً بمظهر الكمال والسكينة . فكان اذا دعونا الى الطعام وقد مناله كأساً من المقبلات التي تؤخذ قبل الاكل ، تمنع واظهر كرهه لكل ما يشتم منه رائحة المسكر . واذ افضى عندنا سهرته وعرضنا عليه ان يشاركنا في احدى تلك اللعبات البسيطة التي تتداولها العائلات وليس فيها ما يؤخذ عليه ، رفض لميله مبدئياً عن

كل ما يشبه الميسر والمقامة . هذا وأهلي يزيدون إعجاباً به ، وانتهى الأمر بان فاتحهم بميله الى فتاتهم ورغبته في الاقتران بها . فاجابوه بطيبة خاطر واكد انه لا يريد شيئاً من دوطتي (او مهري) بل ان هذا المال يبقى لي ولن تُرزق من الأولاد . وكان نصيبه ، وكان اقتران . وكان شهرُ عسلٍ وانقضى ، ويا ليتهُ ما ابتدا

أعددتُ الطعام في احدى الليالي وبت منتظرةً قدوم شريك الحياة الساعة والساعتين ، الى ان سمعتُ كرتة عربيةٍ فاسرعتُ الى فتح الباب وقابلت الزوج بالابتسامة المعتادة ، فقاباني بوجه عبوس ، فقلت : أشغلتُ بالي أيها العزيز بتأخيرك غير المعتاد فأجاب يرودة :

— لا لزوم الى انشغال البال ، فان هذا التأخير من عاداتي حيث اكون في «الكلوب» مع أصحابي
ولم ألبث ان رأيتُ العادة راسخة . لأنني كنتُ أقضي معظم الليل وحيدة وهو بين السركل والكلوب والنادي ، ولا يعرف باب البيت الا عند بزوغ الفجر . وكان في بداية الأمر يدعي انه مضطرٌ الى ارتياد هذه المحلات لمقابلة أناس ذوي شأن تهمةً مقابلتهم . ثم لم يعد يرى ما ما يدعو الى التستر فكان يجاهر بانشغاله عني بالبوكر والبريدج والبيكارا — ولكنك ، وأنت خطيبي ، كنت تكره حتى اللعبات العائلية فما حملك الآن . . . ؟

— انا اكره ما أريد وأحب ما أريد ، فليس هذا من شأنك

فسكتُ وقيدتُ الأولى

هذا وهو يتأدى في هذه العيشة الطائشة ولا يترك طاولة اللعب
إلا لطاولة الشرب فيجيشني وقد تخدّر دماغه ، وتشنجت أعصابه من
الوسكي المعززة بالكونياك المدعوم بالإبسن

- عهدتك تكره كل ما يشتم منه رائحة المسكر فما

- أكره وأحب على ذوقي . وأنت تعرفين طريق بيت أهلك ...

فسكتُ وفي القلب غصة ، وفي العين دمة وقلت : قيدنا الثانية

لا أحب اطالة الحديث لأن هذه الذكرى تؤلني

أخذ يعرض عني تماماً لميله عن بساطة الزوجة الى تبرج الغانيات ،

أنهكه السهر ، وهدّ قواه الكحول ، فاهمل شغله وصار يقضي نهاره بالراحة

وليله بالملذات ، فمدّ يده الى دوطتي ثمّ الى مصانعي ، فذهب كل شيء على

طاولتي اللعب والشرب ، وأنا صابرة خشية العار والفضيحة

قصتي هي قصة معظم الزوجات حتى أصبح الإسهاب فيها من باب

الابتدال فاكتفي بما تقدم

حكاية بحكاية يا حسون فعساك ان تعرض بعد الآن عن سرد

الحكايات ، والأخرجت من هذا الموضوع منتوف الريش مهشم الجناح ..

غرّد ما شئت وزقزق ما أردت ، فقد تحسنّ التفريد والزقزقة ، ولكن

دع عنك محاولة درس قلب النساء ، فقلب النساء لا يعرفه إلا من كونه ،

وهو وحده يعلم ما يقاسي هذا القلب من الظلم والعذاب سلمى

وجاءنا ايضاً ردُّ من سيِّدة فاضلة جمعت بين أنفة البدويات ولطف الحضريات
اذ قضت شطراً من صباحها في قبائل العرب الرحل بين الجياد والرياح ، ثم انتقلت
الى منازل الحضرة تزين مجتمعاتهم بظرفها وادبها . فأكرم سيِّدة تهزُّ في آن واحد
السيف والقلم ، وكلاهما في يدها ماضٍ قاطع . واليك ما كتبتهُ :

قرأتُ مقالة حسون افندي للمدرجة في الجزء الثاني من « الزهور »
رداً على مقالة الأناثة ادما فعمن لي ان اكتب كلمة في الموضوع وان
كنتُ أفضل حمل المغزل على حمل اليراع

لا أنكر ما في مقالة حسون من خفة الروح ، ويعجبني ما يحتاط
به لنفسه قبل طرق موضوعه من المقدمات والملاحظات . وجريراً على
ذلك اطلب اليه ان لا تأخذه الحدة مما سأقول لاني أميل الى بعض
الخشونة الطبيعية مني الى الرقة المصطنعة والمجاملات المصطلح عليها .
وعليه فأؤكد له انه لا يرى ابر مني في نصحه ولا اخلص في رده .

حكايته مع زوجته مدهشة لعمر الحق . وانا اشك كثيراً في
انك متزوجٌ حقيقة ، لانه لو كان كذلك لما وصفت المرأة بما وصفتها به
اذ جردتها عن كل ما يسمى « قلباً » . ولكن اسلم معك جدلاً ان
حكايته واقعية وانها حقيقة كما رويت ووصفت . فاقول حينئذ ان
هذا لا يفيد موضوعك شيئاً ولا يكسبك برهاناً يعول عليه . لاننا نكاد
لا نجد امرأةً واحدة في الالف تُشابه امرأتك هذه الغريبة الاطوار . ثم
انا نرى من جهة ثانية ان كل الذنب عليك لانه كان بإمكانك مدة

خطبتك لها ان تحقق من اميالها واخلاقها . ذكرت إعراضها عن العريية لغة قومك وكان يسمعك ان تعرف ذلك قبل الزواج من حديثك لها ومكاتبك اياها . آخذتها بشغفها بالازياء ، وهذا امر كان من السهل ايضا الاطلاع عليه من ملابس خطيبتك وطريقة تزيينها . أوردت تمنينها لك بالمولود ، وهذا يدل على سخافة في عقلها كان يوسعك ان تعرفها من جلسة واحدة فضلا عن معاشرتك لها - كما تقول - وأنت خطيبها . وهكذا قل عن سائر ما اوردت من المآخذ والمغامز . فلا لوم اذن الا على نفسك . وهب ان « عين الحب عمياء » وانك غفلت عن أمور كان يجب ان لا تغفل عنها ، فان أمثال من وصفت من النساء كثير بين الرجال . فاذا كانت المرأة عادة تخضع ٣٠ في المئة من عمرها فكم يخضع الرجل الذي يخضب شعره لتسويد شيبته ؟

قبيح بكم معشر الرجال ان تحملوا هكذا حمة على النساء . والمرأة اول ما وقع عليه نظركم في هذا العالم وهي التي أرضعتكم وسهرت عليكم الليالي الطوال وهزّت مهدكم وصاتتكم بحنانها وبلغتكم ما بلغتكم من الرقي . وأنتم تسومونها عذاباً أما واختاً وزوجة

وعلى كل فان امرأتك يا حسون درة ثمينة وكل ما عدتة لها من الذنوب لا يذكر ، لأنك شهرت بها وهتكت حرمتها وهي لا تزال بك مقتبطة وعنك راضية

سردت لنا حكايتك معها ولو أتبع لها ان تقص لنا حكايتها معك لسمعنا مثل شكواك واكثر - على ما أظن - وانا اعتذر بما ألفتة من

حرية البدو لأقول : ان امرأة سيادتكم قبلت النصيح ورضيت الاصلاح
ولكن سيادتكم الله أعلم اذا كان هنر الريانه

(الزهور) نرى ان المتناقشين على ما في مناقشتهم من اللذة والظرف قد
خرجوا كثيراً عن دائرة البحث الاول ، ويا حبذا لو حصرنا مناقشتهم في نقطة
معينة ، لأن الموضوع واسع متشعب الأطراف يصعب استيعابه اذا لم يتم البحث
في كل فرع على حدة



في جنائن الغرب

الحب المكتوم

كثيرون هم الشعراء والكتّاب الذين أحبوا وتغنوا في شعرهم بذكر الحبيب
ولم يبوحوا قط باسمه محافظة على كرامته او لغير ذلك من الاسباب . ومنهم من لم
يدع الحبيب نفسه يدري بعاطفة الحب ومثل هؤلاء العشاق يعشقون بحواس الروح
لا بحواس الجسد وقليل ما هم . نروي اليوم من هذا القبيل قصة الشاعر الفرنسي
فليكس ارثر F. Arvers (١٨٥٠ - ١٨٠٦) فانه أحب امرأة مدة حياته كلها
وتيمه هواها وهي تجهل ذلك تمام الجهل لان مروته أبت عليه ان يكشفها بهواه
وهي غير مطلقة الحرية ، لثلاثخون واجب الامانة المطلوبة منها لغيره . وقد نظم
في هذا الموضوع قصيدة جميلة أحيانا ان نعر بها لقراءنا بالنظر الى شهرتها في الآداب
الفرنسوية . وقد تكاثرت الاقوال والظنون لمعرفة تلك التي سلبت فؤاد الشاعر
دون ان تدري فمنهم من توهمها مدام فيكتور هوغو ومنهم من تصور غيرها
ولكن الشاعر لم يبوح أبداً بهذا السر ويقول ان الحبيبة ذاتها متقرأ آياته ولا
تدري من يعني . وهذا هو تعريب الآيات :